علي الخليلي

انا بردانة . قالت رشيد

ـ ١ ـ

تنتظر النساء عودة الصيادين في المساء . ينتشر النبأ . البحر غدار . تلتحم الوجوه تصغي للشاعر . شدّ الشكيمة حتى وفغت الخيل لاهثة على الحجارة الباردة . في شفة الاخرس خط ازرق ، وتأتأة لو يفهمها الاخرون . تعتعه النبأ . عضت تجمة لسانها فتمزق ، وتحول بكاؤها الى حشرجة . ها هو يخرج من النقيض الى النقيض ، والناس بلا جذور تتطاير في الهواء. ومن الصخرة التي انفلقت جاء الصبي وقال لي اياك أن تبحر فيها ، النار تاكل كل شيء ، والماء يرقد في القاع ذئبة قطبية . حاذرت ان امشي اليك فخانني عقلي ، وقلت أقلّع الجدران حتى تبدأ . لوى ذراعه . لماذا تحاول قتلي . تحرث في بدني؟ الان ، تحت الذراع ، أفمى . لا بد من انقاذه . هل قرأت النبأ . سمعته . النساء يهبطن السلالم ، السلالم ، السلالم . القاع ليس بعد . لا تنتظر سحابة واحدة . تعلم لعبة القرد . انتظر ، انتظر ، حتى اكتب لك ، واطلق النار . هكذا تبدأ المعادلة . هجمت الطائرات صباح اليوم في الثامنة وخمس دقائق بالضبط . لا ، لا تحمل ذراعك البلاستيكية وتأتي . أحفر في الخيمة خندقا وحارب وحدك . انطلقت الصواريخ . امطرت في المخيمات والقرى . لاول مرة تمطر . الانثى تحبل . السحابة تحبل . الشجرة تحبل . الولادة ، والتناقض يأتي في المفصل القاتل . قل لي كم طفلا قتلوا . اعرف قتامة العالم . احتدمت قدمه تضرب في الوحل . والرمال المتحركة ابتلعت الفرقة بأكملها . فتح نافذته وشرع يتأمل المطر . تحسس ذراعه الصناعية . مبتورة من الكتف . لم يشعر بها . دفع الشيء المصنوع الى أعلى فاحتكت بلحم الكتف . أحسها صلبة ، باردة . خرج الى الشرفة . نقره المطر في رأسه الاصلع . بكى الطفل ، فاستدار الى الداخل . تذكر انه اعزب . ولكنني سمعت بكاءه . جاس في الحجرتين . ارتعش. فارغا كان المكان . وكانت الكتب تنتشر حزينة ، صامتة . اكتشفت بعثة التنقيب عن البترول هياكل في الوهدة ، وخمنوا انها بقية المنفوخين احياء . بهتت الحسناء ، واعلنت لزوجها ان حفلة رأس السنة فاشلة :

خذني خارج هذه الدائرة . أريد ان اتنفس . أرقص ... حصدت الطائرات القرى والمخيمات ، وحرثتها حرثا . تعمل « سميرة » خادمة في بيروت . صغيرة . قبل ثلاثة ايام اخبرت زوجة صديقي عن طمثها الاول . بكت « سميرة » ، وقالت : بدي اخبر امي .

ـ اين امك يا سميرة ؟

ـ في مخيم النبطية .

ـ أين ابوك ؟

ـ هناك .

ـ سميرة . مخيم النبطية بعيد ؟

ـ قرب فلسطين ، تقول امي .

اسرعنا . هذه اول مرة سأرى أرضا تتوجع امامي مباشرة .

ـ أين المخيم ؟

اشارت بيدها .

ـ لا ادري ، لا ادري .

واخذت تبكي ، وترتعش . نجمة تشتعل .

ركام من التراب والتنك الممزق ، والخشب ، الطوب ، والملابس المحترقة ..

نزلنا من السيارة . جرافة ضخمة تقلب التراكمات بحثا عن الجثث .

جنود . فدائيون . صحفيون عرب ، وغير عرب . موت . جاء ضابط وسألنا ماذا نريد . رأى سميرة، وسألها مباشرة . قالت له : انا سميرة بنت ابو محمد . توقفت عن البكاء . سلمها لاحد الفدائيين . قال لنا : اطمئنوا . ستكون لدى اهلها خلال دقائق . لم نقل شيئا. عدنا الى بيروت . في شارع فرعي من شوارع الحمراء ، نفضنا الغبار عن البناطيل. لمعنا الاحذية ، وقلنا لبعضنا ان الحقد المقدس يأكلنا أكلا :

ـ هل تذهب الى مكتب الارض المحتلة ؟

ـ لا . بدي أسكر !

ـ ٢ ـ

توعكت صحتها فلازمت السرير ، حتى اذا اتى الليل قامت تسعى في المطبخ ، لصتّة تستلذ عقاب ذاتها فتضحك . عثرت بجسد الخادمة

احمد عز الدين

اسمع نبض العصافير ..

ويشتعل الليل فوق الصواري ، قناديل زيت
يكلمهـا الفقراء
فهل تسمعين صياحي يجيء من الضفة الاخرى ،
كما اسمع نبض العصافير في الشجر المتناثر ،
اسمع نبض الشوارع ، اذ يدخل الصبح فيها ..
وهذا جوادي ، على ظهره ..
يتناسل العشب والشمس
نحن عرفنا تضاريس لحمك
نحن حفرنا في الزوايا البعيدة ، لكنه الليل
ما دلنا على موته سوى دابة الارض
فانفلتي من خيوط العناكب
وانفرطي عناقيـد
ان السواقي اعادت مواويلها الف عام
وان الحواري التي لامست دهشة الليل ،اذ يدخل الصبح فيهـا
تكرر اشواقها المستديمة عاما فعام
يدوسون صوتك كانوا ، ولكنني في الحروف القديمة كنت،
وفي فلقات الثمار ، وعشب الحديقة ،
حين تكشّفعريك ،تحت سماء،تعيد طلاء شبابيكها
بالزرقة الناعمـة
تلمست وجهـك
كان غريبا عن الاهـل
غريبا عـن الحيّ
كنت غريبـا
ولم يعطني الليـل اسمـا
فتهت وراء التخوم طويلا ،
نزلت ،
تلمست عينيـك
كان قميصك ينشق
ثديك ممتليء باليناييع والتوت والعسل البريّ
هذا فمي جائـع
فانصبي موائدك الان،اسمعنبض العصافيرفيالشجر المتناثر ، نبض الشوارع اذ يدخل الصبح فيها ،
فانصبي موائدك الان .

القاهـرة

على البلاط البارد ، فداست في بطنها ، وصرخت : قومي يالعينة ، ساعـة وأنا اصرخ . هبّت مذعورة . وفي حلبة السباق اكثر من عشرين حصانا يركض . والطاترات تركض . والاطفال . وفي أسفل بطنها اشتعل الوجع ، فجاءها المخاض وسكتت . صاح سيدها : سميرة ، سميرة ، فالتهبت البقعـة بالالوان المتعددة . وقال السيد : حسبت النافذة قد اجتازها لص ، فقمت . غرق المطبخ بالظلمة ، فقال لهـا زوجهـا : سميرة ، اسمعي يا امرأة . طول النهار احرث هذه الارض وترفضني. ملعونـة ترفضني . أريـد ان ازرعك شجرة زيتـون وانتهي من الامر. ضحكت وتسلقت عنقه ونامت . نصبت بيـن شجرتين عتيقتين حبـلا لفّت في وسطه مجموعـة من الخرق فصار ارجوحة . افعت تحتهـا وافترست حشرجاتها حتى اندلق الطفل بيـن فخذيها . تناولته ولفتـه في الارجوحة . تعانقت الشجرتان . قالت الاولى : طفل جميل .وقالت الثانيـة : أحبل ، الليلة ، والد مثله ، في الصبح . اخترقتالشمس نافذة المطبخ ، وجلست فرب سميرة . ملّت ، فتحركت في المطبـخ . سئمت : سميرة . سميرة . آنا بردانة، قالت الشمس ، والتحفت في الجسد ، فصاحت السيدة من مخدعها : يا عاهرة ، آنا اعرفك ، هل اخذك على جنب ، ام استلقى فوقك ؟ وقال السيـد : صباح الخيـر ، فتناومت ، وأنّت في خدر المتوجـع ، حتى اقترب ، وقبلها في طرف فمها الجاف . وكرر تحيته ، فقالت : أريـد ان أحبل . ذعر السيد وداسته الخيول المتسابقة ، فقهقهت رأسه التي انفصلت ولم تندفـع منهـا قطرة دم واحدة : لماذا تنسين ؟ لمـاذا تنسين ؟ غبية . أنتعاجزة. أنا عاجز !! صحت سميرة ، والقمت ثديهـا فم الطفل . وجاء زوجها، فأكل رغيفـا خشنا وبصلتين كبيرتين ، وأكد لهـا جديته في انيزرعها شجرة زيتـون ، فوافقت .

طرابلس ـ ليبيـا